إعداد المصور

من المعروف أن الفنون الإسلامية أقرب إلى الحرف منها إلى الفنون، ولقد اكتسبت هذه الصبغة بسبب طريقة إعداد الفنان وهي في جوهرها لا تختلف كثيراً عن الوسيلة التي تتبع اليوم في إعداد الصناع الفنيين ويعتمد فيما على تتلمذ عدد من الأطفال والصبيان على يد صانع ماهر يتدربون تحت إرشاده وإشرافه على الأعمال الفنية مبتدئين من أبسطها ومنتهيين بأكثرها صعوبة وتعقيداً.

كذلك كان الشأن في تعليم المصورين إذ يلتحق عدد من الصبيان بمرسم مصور ماهر ويتعلمون منه كيفية تحضير الألوان وتجهيز الورق ويتمرنون في نفس الوقت على نقل نماذج معينة من رسوم يعدها لهم وعليهم أن يحذفوا رسمها من الذاكرة قبل الانتقال إلى رسم ما هو أصعب منها وهكذا ينتقل التلميذ من رسم الخطوط إلى الأشجار إلى الحيوانات إلى الأشخاص.

وكان لهذه الطريقة أثرها الواضح في التصوير فهي أولاً تعود المصور الناشئ على رسم نماذج معينة فضلاً عن أنه كان يتعلم تكوين الصورة عن أستاذه بوساطة الورق المخرم، ولذلك نلحظ المحافظة على تكوينات معينة تستمر من عصر إلى عصر، وتنتقل من مصور إلى آخر، مما أكسب التصوير الإسلامي شيئاً من الجمود ونجد أمثلة من هذا حتى لمشاهير المصورين المسلمين أمثال قاسم على ومحمود مذهب إذ نقلا

رسوماً لبهزاد الذي كان يكرر بدوره بعض تكوينات أستاذه روح الله ميرك.

وطريقة التعليم هذه كان من شأنها أنها قتلت المواهب عند الناشئين، وهذا هو الأثر الثاني لها. ولذا لم نجد نابغة في التصوير له مذهبه الخاص في التعبير وأسلوبه الفريد في الرسم. والذي امتاز منهم عن غيره إنما امتاز بفضل اتقانه مزج الألوان وتفوقه في اكساب صورة مسحة من الجمال والرقة؛ وحتى مشاهير المصورين الذين اعتبرنا هم مبدعين لم يستطيعوا التخلص من هذا الأثر، وبالتالي لم تكن رسومهم بالنوع الفريد الشاذ عن غيره من رسوم إخوانهم في عصرهم إلا بالقدر الضئيل وعلى النحو الذي وصفناه من حيث الامتياز في التكوين أو رقة الألوان أو حفظ النسب بين الأشياء بعضها بعضاً أو صدق تمثيل الطبيعة أو التوفيق في التعبير عن الحركات؛ ولكن كل هذا داخل الإطار العام للعصر.